

ترجمة عائلة أقيت

وفي كتاب الذيل للعلامة الفقيه أحمد بابا^(١) رحمه الله . قال أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى بن كدالة الصنهاجي التنبكتي . جد والدي يُعرف بالحاج أحمد أكبر الإخوة الثلاثة شهروا علماً وديناً في قطرهم من أهل الخير والفضل والدين ، محافظاً على السُّنة ، والمروة ، والصيانة ، والتحرى ، مُحباً في النبي ﷺ . ملازماً لقراءة قصائد مدحه وشفاء عياض على الدوام . فقيهاً ، لغوياً ، نحوياً ، عروضياً ، مُحصلاً ، اعتنى بالعلم طول عمره وكتبه ، كتب عدة كتب بخطه مع فوائد كثيرة ، وترك نحو سبعمائة مجلد .

أخذ عن جده لأمه الفقيه اند غمحمّد . وعن خاله الفقيه ، مختار النحو ، وغيرهما . شَرَّقَ في عام تسعين وثمانمائة وحجَّ ، ولقى الجلال السيوطي ، والشيخ خالد الوقاد الأزهرى إمام النحو وغيرهما ، ورجع في فتنه الخارجى سن علي ، ودخل كنو ، وغيرها من بلاد السودان .

ودرس العلم وأفاد وانتفع به جَمْعٌ كثير أجْلَهُم الفقيه محمود ، قرأ عليه المدونة وغيرها واجتهد في العلم درساً وتحصيلاً ، حتى تَوَفَّى ليلة الجمعة في ربيع الثاني عام ثلاثة وأربعين وتسعمائة عن نحو ثمانين سنة . وطلَّبَ للإمامة فأبى فضلاً عن غيرهما . ومن مشهور كراماته أنه لما زار القبر الشريف طلب الدخول إلى داخله ، فمنعه الخدام منه ، فجلس خارجه يمدحه ﷺ ، فانحل له الباب وحده بلا سبب فتبادروا التقييل يده ، هكذا سمعتُ الحكاية من جماعته .

عبد الله بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي المسوفي ، شقيق جدي المتقدم ، كان فقيهاً ، حافظاً زاهداً ، ورعاً ، ولياً صالحاً في غاية الورع والتقوى ، قوى الحفظ . درس بوالاتن^(٢) وتوفي بها سنة تسع وعشرين وتسعمائة ، وولّد سنة ست وستين وثمانمائة ، له كرامات .

(١) أحمد بابا التنبكتي : من أشهر مؤرخي غرب إفريقيا . أشهر كتبه (تطريز الديباج) ، وهو تراجم لعلماء المذهب المالكي غير المذكورين في الديباج لابن فرحون .

(٢) والاتن : تُعرف باسم ولالة ، تقع شمال غرب تنبكت .

محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجي التنبكتي ، قاضيها أبو الثناء وأبو المحاسن ، عالم التكرور وصالحها ، ومُدرّسها ، وفقّيهها وإمامها بلا مدافع . كان من خيار عباد الله الصالحين ، العارفين به ، ذا ثبّت عظيم في الأمور وهدى تام ، وسكون ، ووقار ، وجلالة اشتُّهر بعلمه وصلاحه في البلاد . وطار صيته في الأقطار شرقاً ، وغرباً ، وجنوباً ، وشمالاً ، وظهرت برّكته إلى ديانة وصلاح وزهد ، ونزاهة ، لا يخاف في الله لومة لائم .

هابته الخلق كلهم ، السلطان فَمَنْ دونه اروا تحت أمره يزورونه في داره ، مُتبركين به فلا يلتفت إليهم ، ويهادونه بالهدايا والتحف تترى ، وكان سخياً ، جواداً ، ولى القضاء عام أربعة وتسعمائة . فسَدَّ في الأمور وشَدَّد ، وتوَحَّى الحق ولذوى الباطل هَدَّد . فاشتهر عدله بحيث لا يُعرف له نظير في وقته ، مع ملازمة التدريس ، وللفقه فيه حلاوة وطلاوة ، سهل العبارة ، حسن التقريب ، فلا يتكلف .

انتفع به كثيرون وحيي العلم ببلاده ، وكثُر طلبه الفقه ونجَّب جماعة منهم ، فصاروا علماء وأكثر ما يقرىء المدونة ^(١) ، والرسالة ، ومختصر خليل ، والألفية ، والسلاحية . وعنه انتشر إقراء خليل هنالك ، وقيد عنه تقائيد عليه أبرزها بعضهم شرحاً في سفرين . وحجَّ عام خمسة عشر وتسعمائة ، فلقى السادة كإبراهيم المقدسى ، والشيخ زكريا ، والقلقشندى .

وطال عمره فألحق الأبناء بالآباء ، ودرس نحو خمسين سنة حتى توفي سنة خمس وخمسين ، ليلة الجمعة سادس عشر رمضان . وبلغ من الجلالة وتعظيم الناس له وشهرة الذكر بالصلاح مبلغاً لم ينله أحد غيره . ووُلِدَ سنة ثمان وستين وثمانمائة ، أخذ عنه والدى رحمه الله وأولاده الثلاثة القضاة : محمد ، والعاقب ، وعمر . وغيرهم .

مخلف بن علي بن صالح البلبالى ، فقيه حافظ رحلة اشتغل بالعلم على كبر علي ما قيل ، فأول شيوخه سيدى العبد الصالح عبد الله بن عمر بن محمد أقيت شقيق

(١) المدونة : كتاب في فقه المالكية ، تأليف سحنون .

جدى بولاتن ، قرأ عليه الرسالة ورأى منه نجابة ، فحُضَّه على العلم فرغب فيه ، وسافر للغرب فأخذ عن ابن غازى وغيره .

اشتهر بقوة الحافظة حتى ذُكِرَ عنه العجبُ في ذلك ، ودخل بلادَ السودان وككنو وكشن وغيرها وأقرأ هناك ، وجرى له أبحاث في نوازل مع الفقيه ، العاقب الأنصمنى ، ثم دخل تنبكت وأقرأ بها ، ثم رجع للغرب فدرس بمراكش وسَمَّ هناك فمرض فرجع لبلده ، وتوفى بعد الأربعين وتسعمائة .

محمد بن أحمد بن أبى محمد التازختى ، عرف بايد أحمد بهمزة مفتوحة ، وباء ساكنة ، فдал مفتوحة مضاف لاسم أحمد معناه ابن . كان فقيهاً ، عالماً ، فهاماً ، مُحَدِّثاً ، مُتَفَنِّناً ، مُحْصِلاً جيد الخط ، حسن الفهم ، كثير المنازعة . قرأ ببلاده على جدى الفقيه ، الحاج أحمد بن عمر وعلى خاله الفقيه على . وحَصَّلَ ولقى بتكده الإمام المغيل ، وحضر دروسه .

ثم رحل للشرق صحبة سيدنا الفقيه محمود ، فلقى أجلاء كشيخ الإسلام زكريا ، والبرهانيين القلقشندى ، وابن أبى شريف ، وعبد الحق السنباطى وجماعة ، فأخذ عنهم علم الحديث ، وسمع وروى ، وحَصَّلَ واجتهد ، حتى تَمَيَّزَ فى الفنون وصار من المحدثين . وحضر درس الأخوين اللقائين . وتصاحب مع أحمد بن محمد ، وعبد الحق السنباطى .

وأجازه ^(١) من مكة ، أبو البركات النويرى ، وابن عمته عبد القادر ، وعلى بن ناصر الحجازى ، وأبو الطيب البُستى وغيرهم . ثم رجع لبلاد السودان ، وتوطن كشن فأكرمه صاحبها وولاه قضاءها . وتوفى فى حدود ست وثلاثين وتسعمائة ، عن نيِّف وستين سنة وله تقييد وطرر على مختصر الشيخ خليل .

محمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن على بن يحيى الصنهاجى قاضى تنبكت ، كان فقيهاً ، فهاماً ، دراكاً ، ثاقبَ الذهن ، من عقلاء الناس وذُهاهم . ولى القضاء بعد أبيه فساعدته الدنيا ، فمال ما شاء من دولة ورياسة ، وحصل له دنيا عريضة . شرح رجز المغيل فى المنطق ، أخذ عنه والدى البيان والمنطق . وتوفى فى صفر سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة . مولوده عام تسعة وتسعمائة .

(١) أجازه : أعطاه شهادة .

العاقب بن محمود بن عمر بن محمد اقيت بن عمر بن علي بن يحيى الصنهاجى ، قاضى تنبكت ، كان رحمه الله مُسدداً فى أحكامه ، ثبتاً فيها صلباً فى الحق ، لا تأخذه فى الله لومة لائم ، قوى القلب جداً ، مقداماً فى الأمور العظام التى يُتوقف فيها ، جَسُوراً على السلطان فَمَنْ دونه ، لا يبالى بهم ، ووقع له معهم وقائع ، وكانوا يخضعون له ويهابونه ويطاوعونه فيما يريد .

إذا رأى ما يكره عزل نفسه وسدَّ بابه فيلاطفونه حتى يرجع ، وقع له مراراً ذا بصيرة نافذة فى الأمور لا تحطىء فراسته كأنه ينظر فى الغيب مُوسَّعاً عليه فى دنياه مجدوداً فى أموره مع التحرُّى والتوقى ، مهيباً جداً أخذ عن أبيه وعمه رحل وحجَّ ، ولقى الناصر اللقانى ، وأبا الحسن البكرى ، والشيخ الشكرى وطبقتهم ، أجازة اللقانى ، كل ما يجوز له وعنه ، وأجازنى هو كذلك وكتب لى خطه بذلك ، ولَدَ عام ثلاثة عشر وتسعمائة ، وتوفى فى رجب عام إحدى وتسعين .

العاقب بن عبد الله الأنصمنى المسوفى ، من أهل تكده قرية عمرها صنهاجية قرب السودان ، فقيه ، نبه ذكى الفهم ، وقاد الذهن ، مشغل بالعلم فى لسانه ذرابة له تعاليق ، من أحسنها كلامه على قول خليل ، وخصصت نية الحالف حسن مفيد ، لخصَّته مع كلام غيره فى جزء سميته (تنبيه الواقف على تحرير خصصت ، نية الحالف) .

وله جزءٌ فى وجوب الجمعة بقرية أنصمن ، خالف فيه غيره والصواب معه ، والجواب المجدود عن أسئلة القاضى محمد بن محمود . وأجوبة الفقير عن أسئلة الأمير ، أجاب فيها إسكيا الحاج محمد وغيرها . أخذ عن المغيلى ، والجلال السيوطى وغيرهما ، ووقع له نزاعٌ مع الحافظ مخلوف البلبالى فى مسائل ، كان حياً قرب الخمسين والتسعمائة .

أبو بكر بن أحمد بن عمر بن محمد اقيت ، تنبكتى المولد ، نزىل المدينة المشرفة ، عَمَى كان خيراً صيتاً ، ورعاً ، زاهداً ، تقياً ، أوَّاهاً ، ولياً ، مباركاً معروف الصلاح ، ظاهر الزهد والورع والبرِّ ، متين الدين ، كثير الصدقة والعطاء ، قلَّ أن يمسك شيئاً مع قلة ذات يده ، مُبرزاً فى الخير لا نظيرَ له ، نشأ على ذلك ، حجَّ وجاور ثم أب لبلاده لأجل أولاده فأخذهم ، ورجع ، وحجَّ المدينة حتى مات فاتح إحدى وتسعين وتسعمائة ، ولَدَ عام اثنين وثلاثين .

وهو أول من قرأت عليه علم النحو، فملت بركته، ففتح لي فيه في مدة قريبة بلا عناء، له أحوال جليلة، كثير الخوف والمراقبة لله، ونصح عباده يردف زفرة بعد أخرى، رطب اللسان بالتهليل، وذكر الله على الدوام، كثير الانشراح مع الناس من خيار صالحى العباد، رفض الدنيا وزهد في زهرتها، مع ما لأهل بيته حيثئذ من عظيم الجاه، ما رأيت قط مثله، ولا من يقرب منه في حالة تواليف لطاف في التصوف وغيره.

أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد بن اقيت بن عمر بن على بن يحيى. والدى الفقيه، العالم، ابن الفقيه العالم، كان ذكياً، دراكاً، متفتناً، محدثاً، أصولياً، بيانياً، منطقياً، مشاركاً، وكان رقيق القلب، عظيم الجاه، وافر الحرمة عند الملوك وكافة الناس نفعاً بجاهه، لا تُرد له شفاعة، يغلظ على الملوك فمن دونهم، وينقادون له أعظم الانقياد، ويزورونه في داره، ولما مرض في كاغ في بعض أسفاره كان السلطان الأعظم إسكيا داوود يأتى إليه بالليل، فيسهر عنده حتى برأ، ويسمر عنده تعظيماً لقدره.

وكان مشهوراً القدر والجلالة، وافر الجاه بحيث لا يعارض محباً في أهل الخير متواضعاً لهم، لا ينطوى على حقد لأحد مُنصفاً للناس، جماعاً للكتب، وافر الخزانة^(١) محتوية على كل علق نفيس، سموحاً بإعارتها أخذ عن عمه بركة العصر محمود بن عمر وغيره.

رحل للشرق سنة ست وخمسين، فحج وزار واجتمع بجماعة كالناصر اللقاني والشريف يوسف، تلميذ السيوطى، والجمال ابن الشيخ زكريا، والأجهورى، والتاجورى. وبمكة، وطيبة بأمين الدين الميمونى، والملائى، وابن حجر، وعبد العزيز اللمطى، وعبد المعطى السخاوى، وعبد القادر الفاكهى وغيرهم، وانتفع بهم. ولازم أبا المكارم محمد البكرى وتبرك به، وقيد عنه فوائد.

ثم قفل لبلده فدرس قليلاً، وشرح خمسمات العشرينات الفازازية في مدح النبى ﷺ، ومنظومة المغيلى في المنطق شرحاً حسناً، وعلق على موضع من خليل، وعلى شرحه للتائى حاشية، وبيّن فيها مواضع السهو منه، وعلى صغرى السنوسى

(١) وافر الخزانة: صاحب مكتبة كبيرة.

والقرطبية ، وجمل الخونجى ، وفى الأصول ولم يكمل غالبها ، أسمع الصحيحين ،
نيفاً وعشرين سنة فى شهر رجب وتاليه وغيرهما .

توفى فى ليلة الاثنين سابع عشر من شعبان ، عام إحدى وتسعين وتسعمائة ، وثقل
عليه لسانه ، وهو يقرأ صحيح مسلم فى الجامع ، فأشار عليه شيخنا العلامة محمد
بغيع ، وهو جالس حذاءه بقطع القراءة . فتوفى ليلة الاثنين بعده .

أخذ عنه جماعة ، كالفقيهين الصالحين شيخنا محمد وأخيه أحمد ابنى الفقيه محمود
قرأ عليه الأصول والبيان والمنطق ، والفقيهين الأخوين ، عبد الله وعبد الرحمن ابنى
الفقيه محمود وغيرهم . وحضرت أنا عليه أشياء عدة وأجازنى جميع ما يجوز له
وعنه . وسمعت بقراءة الصحيحين ، والموطأ ، والشفاء . وُلِدَ فاتح المحرم عام تسعة
وعشرين وتسعمائة ، ورأيتُ له بعد وفاته رؤيا حسنة رحمه الله تعالى .

أحمد بن محمد بن سعيد ، سبط الفقيه محمود بن عمر . فقيه ، عالم ، محصل ،
مدرس ، حضر على جده المذكور . الرسالة ، ومختصر خليل مرة ، وأخذ عن غيره
المختصر والمدونة . انتفع الناسُ به من عام ستين إلى وفاته فى المحرم فاتح ست
وسبعين وتسعمائة . ومنهم الفقيهان الإخوان شيخنا محمود وأخوه أحمد . قرأ عليه
الموطأ ، والمدونة ، وخليلاً وغيرها . وله حاشية على خليل اعتمد فيها على البيان
والتحصيل . وُلِدَ عام إحدى وثلاثين ، أدركته وأنا صغير وحضرتُ دولته .

محمد بن محمود بن أبى بكر الونكرى التنبكتى ، عُرِفَ بِبَغْيَع ، بىاء مفتوحة فغين
معجمة ساكنة ، فياء مضمومة ، فغين مهملة ، مضمومة . شيخنا وبركتنا الفقيه ،
العالم ، المتفنن ، الصالح ، العابد ، الناسك . كان من صالحى خيار عباد الله ، والعلماء
العاملين مطبوعاً على الخير ، وحُسن النية ، وسلامة الطوية والانطباع على الخير
واعتقاده فى الناس ، حتى كاد الناسُ يتساوون عنده فى حُسن ظنه بهم وعدم معرفة
الشر .

يسعى فى حوائجهم ، ويضر نفسه فى نفسهم ، ويتفجّع لكرههم ، ويُصلح
بينهم وينصحهم إلى محبة العلم وملازمة تعليمه ، وصرف أوقاته فيه وصحبة أهله ،
والتواضع التام ، وبذل نفائس الكتب الغريبة ، العزيزة لهم ، ولا يفتش بعد ذلك
عنها كائناً ما كان ، من جميع الفنون . فضاع له بذلك جملة من كتبه نفعه الله بذلك .
وربما يأتى لبابه طالبٌ يطلب كتاباً فيعطيه له من غير معرفته مَنْ هو ، فكان العجب
العجاب فى ذلك ، إيثراً لوجهه تعالى مع محبته للكتب ، وتحصيلها شراءً ونسخاً .

وقد جئته يوماً أطلب منه كتبَ نحو ، ففتش في خزائنه ، فأعطاني كلَّ ما ظفر به منها إلى صبر عظيم على التعليم آناء الليل ، وعلى إيصال الفائدة للبليد بلا ملل ولا ضجر حتى يملَّ خاطروها وهو لا يبالي . حتى سمعتُ بعض أصحابنا يقول : أظن هذا الفقيه شرب ماء زمزم لئلا يملَّ في الإقراء تعجباً من صبره مع ملازمة العبادة ، والتجافى عن ردئ الأخلاق ، وإضمار الخير لكل البرية حتى الظلمة مُقبلاً على ما يعنيه متجنباً الخوض في الفضول .

ارتدى من العفة والمسكنة أزين رداء ، وأخذ بيده من النزاهة أقوى لواء ، مع سكينه ووقار ، وحُسن أخلاق وحياء ، سهولة الإيراد والإصدار ، فأحبته القلوب كافة ، وأثنوا عليه عامة بلسان واحد إلى الغاية ، فلا ترى إلا مُحباً مادحاً ومُثنياً بالخير صادقاً ، طويلَ الروح ، لا يأنف من تعليم مُبتدٍ أو بليد أفنى فيه عمره مع تشبته بحوائج العامة ، وأمور القضاء لم يصيبوا عنه بديلاً ، ولا نالوا له مثيلاً ، طلبه السلطان بتوليه ولاية محله فأنف منها ، وامتنع ، واعترض عنه ، واستشفع فخلَّصه الله تعالى .

لازم الإقراء^(١) سيما بعد موت سيدي أحمد بن سعيد ، فأدرَّكته يقرئ من صلاة الصبح ، أول وقته إلى الضحى الكبيرة دواً مختلفة ، ثم يقوم لبيته ويصلي الضحى مدة ، وربما مشى للقضاء في أمر الناس بعدها أو يصلح بين الناس ، ثم يُقرئ في بيته وقت الزوال ويصلي الظهر بالناس ، ويُدرِّس إلى العصر ، ثم يُصليها ويخرج لموضع آخر يُدرِّس فيه للاصفرار أو قربه ، وبعد المغرب يُدرِّس في الجامع إلى العشاء ويرجع لبيته .

وسمعتُ أنه يجيء آخر الليل على الدوام ، وكان دراكاً ، ذكياً ، فطناً حاضراً الجواب ، سريعَ الفهم ، مُنَوَّرَ البصيرة ، سَكُوناً ، صامتاً ، وقوراً . وربما انبسط مع الناس وربما زجرهم ، آية في جودة الفهم ، وسرعة الإدراك معروفاً بذلك .

أخذ العربية والفقهاء عن الفقيهيين ، الصالحين والده وخاله ، ثم قطن مع أخيه الفقيه

(١) الإقراء : طريقة من طرق التدريس . التي اتبعها العلماء المسلمون في إلقاء الدروس . وهي عبارة عن قراءة الطالب جزءاً من الكتاب ، ثم يقوم الشيخ بشرحه .

الصالح ، أحمد تنبكت . فلازما الفقيه أحمد بن سعيد في مختصر خليل ، ثم رحلا للحج مع خالهما ، فلقوا الناصر اللقاني ، والتاجوري ، والشريف يوسف الأوميونى ، والبرهموشى الحنفى ، والإمام محمد البكرى وغيرهم ثمة .

ثم رجعا بعد حجّهما وموت خالهما فنزلا بتنبكت ، فأخذا عن ابن سعيد الفقه والحديث ، قرءا عليه الموطأ ، والمدونة ، والمختصر وغيرها ولازمها ، وعن سيدى والدى الأصول والبيان والمنطق قرأنا عليه أصول السبكي ، وتلخيص المفتاح^(١) وحضر عليه شيخنا وحده جمل الخونجى ، ولازم مع ذلك الإقراء ، حتى صار أخيراً شيخ وقته فى الفنون لا نظير له .

ولازمته أكثر من عشر سنين ، فختمتُ عليه مختصر خليل بقراءته وقراءة غيره نحو ثمانى سنوات ، وختمتُ عليه الموطأ قراءة وفهماً ، وتسهيل ابن مالك قراءة وبحثاً وتحقيقاً مرة بثلاث سنين ، وأصول السبكي بشرح المحلى ثلاث مرات قراءة وتحقيقاً .

والألفية العراقى شرح مؤلفها ، وتلخيص المفتاح بمختصر السعد مرتين فأزيد ، وصغرى السنوسى وشرح الجزيرة له ، وحكم ابن عطاء الله مع شرح زروق ونظم أبى مقرة والهاشمية فى التنجيم مع شرحها ، ومقدمة التاجورى فيه ، ورجز المغيلى فى المنطق ، والخزرجية فى العروض .

فشرح الشريف السبتي وكثير من تحفة الحكام لابن عاصم مع شرحها لولده كلها قراءته ، قرأتُ عليه فرعى ابن الحاجب ، قراءة بحث جميعه وحضرته فى التوضيح ، كذلك لم يفتنى منه إلا من الوديعه إلى الأقضية ، وكثيراً من المنتقى للبايجى ، المدونة بشرح أبى الحسن الزرويلى ، وشفاء عياض .

وقرأتُ عليه صحيح البخارى نحو النصف وسمعتة بقراءته ، وكذا صحيح مسلم كله ، ودولاً من مدخل ابن الحاج ، ودروساً من الرسالة ، والألفية وغيرها ،

(١) تلخيص المفتاح : كتاب فى المعانى والبيان . تأليف : القزوينى المتوفى عام ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م ، ويحتوى الكتاب على مقدمة وثلاثة فنون . الأول علم المعانى ، علم البيان ، علم البديع . انظر حاجى خليفة : كشف الظنون ، دار الفكر ، لبنان ، ١٩٧٩ م . ج ١ ص ٣٨٤ .

وفسرتُ عليه القرآن العزيز إلى أثناء سورة الأعراف . وسمعتُ بلفظه (جامع المعيار) للونشريشى كاملاً ، وهو سفرٌ كبير ومواقع أخرى منه ، وباحثُهُ في كثير من المُشكلات ، وراجعتهُ في المهمّات .

وبالجملة فهو شيخى وأستاذى ، ما نفعنى أحد كنفه وبكتبه رحمه الله تعالى وجزاه بالجنة ، وأجازنى بخطه جميع ما يجوز عنه ، واقفتهُ على بعض تواليفى فسّر به ، وقرّظ عليه بخطه بل كتب عني أشياء من أبحاثى ، وسمعتُهُ ينقل بعضها في دروسه لإنصافه وتواضعه وقبوله الحق حيث تعين .

وكان معنا يوم الواقعة علينا فكان آخر عهدي به ، ثم بلغنى أنه توفي يوم الجمعة في شوال عام اثنين وألف . مولوده عام ثلاثين وتسعمائة له تعاليق وحواش ، نَبه فيها على ما وقع لشراح خليل وغيره وتبّع ما في الشرح الكبير للثنائى من السهولة نقلاً وتقريراً في غاية الإفادة ، جمعتهما في جزئين تأليفاً رحمه الله تعالى . انتهى ما كتبته من الذيل .

ومن سادات أهل سنكرى من روى ثقات عن ثقات أنه تصدّق بألف مثقال ذهب ^(١) . على يد الشيخ الفقيه ، الولي ، الصالح أبى عبد الله القاضي مودب محمد الكابرى ، وفرّقه على المساكين في باب مسجد سنكرى ، وذلك أنه كانت جماعة حينئذ ، فتكلم الشيخ في مدرسته . وقال : من يفتح في ألف مثقال أتكفل له الجنة ، ففتحها ذلك السيد المتصدّق ، وفرّقها على المساكين .

وقيل : رُوى بعد ذلك في المنام قائلاً يقول له : لا تتكفل علينا بعد . ورُوى : إن الوليَّ الزاهد ، الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه محمود حكى هذه القصة في مدرسته في المسجد ، فقال له رجل : يا سيدى وهنا الساعة من إذا تكفلت له الجنة ، يعطى ألف مثقال ذهباً . فقال السيد عبد الرحمن في الجواب : الكابرى وأمثاله هم رجال هذا الطريق .

ومنهم هذا الشيخ ، أعنى الفقيه القاضي مودب محمد الكابرى شيخ الشيوخ رحمه الله تعالى ، ورضى عنه ونفعنا به في الدارين ، توطّن تنبكت في القرن

(١) مثقال : وحدة تعامل نقدى تعادل أربعة جرامات ذهب .

التاسع والله أعلم ، وعاصر فيها كثيراً من الأسيّاخ ، منهم الفقيه سيدي عبد الرحمن التميمي جد القاضي حبيب . والفقيه اند غمحمّد الكبير جد القاضي محمد لأمه ، والفقيه عمر بن محمد اقيت والد الفقيه محمد المذكور ، والعلامة القطب سيدي يحيى التادلسي وغيرهم .

قد بلغ الغاية القصوى في العلم والصلاح ، وأخذ عنه الفقيه عمر بن محمد بن اقيت ، وسيدي يحيى . وقيل : لا ينسلخ شهر إلا ويختتم عليه تهذيب البرادعي لكثرة قرائه . والبلد حافلة يومئذ بالطلبة السودانيين أهل المغرب المجتهدين في العلم والصلاح .

حتى قيل : إنه معه في روضته ثلاثون كابرياً مدفونون معه ، كلهم علماء صالحون ، وروضته بين روضة ولى الله تعالى الفقيه أحمد بن عمر بن محمد اقيت . وبين موضع صلاة الاستسقاء على ما أخبرنا به شيخنا الزاهد الفقيه الأمين بن أحمد أخ الفقيه عبد الرحمن ردمهم التراب .

ولهذا الشيخ المبارك كرامات كثيرة باهرة ، منها أن واحداً من طلبة مراکش ، يُطلق لسانه فيه ويذكره بما لا ينبغي ، حتى يقول الكافري بكسر الفاء المكسورة وهو ممن له جاه بليغ ، وحظ عظيم عند الأمراء الشرفاء يسرد لهم صحيح البخاري في رمضان .

فسلط الله عليه الجذام ، وجلب له الأطباء من كل جهة ومكان ، حتى قال واحد منهم : لا يداويه إلا قلب الصبي الآدمي يأكله ، فكم من صبيان ذبحهم له الأمير يومئذ ، فما نفع فيه شيء حتى مات منه في ببس الحال والعياذ بالله . روى ذلك في العلامة أحمد بابا رحمه الله تعالى .

ومن كراماته ما رويته عن والدي رحمه الله تعالى ، عن أسيّاخه أنه خرج ذات يوم من أيام عشر ذى الحجة لشراء الأضحية ، وكانت منه في وراء البحر ومعه واحد من تلاميذه ، فتخطى على البحر وتبعه تلميذه على ما ظهر له في الحال ممّا الله تعالى عالم به .

فغرق في وسط البحر بعد ما خرج منه الشيخ فصاح عليه ومدّ يده وأخرجه منه ، فقال له : ما حملك على ما فعلت . فقال : لما رأيته فعلت فعلت أنا إذن . فقال له : أين قدمك من القدم الذي ما تخطى في معصية قط . انتهى .

وقد رثاه يوم مات ، رحمه الله تعالى الشيخ ، الإمام ، الولي ، العارف ، القدوة ،
المكاشف ، القطب ، الغوث ، الجامع ، السالك ، السيد الشريف الرباني . سيدى
يحيى التادلسى ، بأبيات ، وهى هذه :

تذكر ففى التذكار جل الفوائد
ألم تر سفر الحث بالفضل خصصوا
تفئ لب المرء طيبه الصبا
وفى نقص هذه الأرض للحجر عبرة
وبالقبض للنظار فى العلم قبضة
أطلاب علم الفقه تدرون ما الذى
يثير هموم القلب فقد سميدع
بحسن تعليم مقرب فهمه
محمد الأستاذ مؤدب ذى النهى
فيا عجباً هل بعده من مبین
فلولا التعزى بالنبى وصحبه
لحق لدمع العين سيح على الولا
لقد أظلم الورى وبانت همومه
أينكر ذو حجر زحاماً لحمله
إذا انكسر النعشان من تحت سالم
وفى ذاك تعظيم وحسن تأدب
إخواننا فادعوا له بتقبل
وبسط برزق فى فرايس جنة
عليه من الرحمن ذى المجد والعلی
وصلی إله العرش ربى بمنه
محمد المختار للختم رحمه

وفى طيه ورد على خير وارد
وسفر ذوى الأفكار أحظى بزائد
فيلحق فتیاناً ويقوى لساعده
من أطرافها يبدو ومن كل ماجد
وفى ذاك إنذار بقرب شدائد
يثير هموم القلب من كل وافد
فقيه حليم حامل للفرائد
وفتاق تهذيب بحسن الفوائد
رباطاً صباراً أمره فى التزايد
ويا عرباً هل من بعده من مجالد
واعلام علم الدين منه وراشد
لإفناء أشباح وإطفاء واقد
صبيحة أسرى نفيه فى الأسود
ففى السلف الأسى قوى التكابد
ومن امن الغرا زيادة واحد
مع الصالح الموفى بعهد المقالد
وروح وريحان سننى الشاهد
شهادة أستاذ وطاعة عابد
سلام بالطاف عزيز الفوائد
على خير مبعوث وأفضل شاهد
بتميم أخلاق كرام المعاهد

انتهى نقلها من خط والدى رحمه الله تعالى ، وعفا عنه بمنه .

ذكر نسب الشيخ سيدى يحيى رحمه الله تعالى ، ونفعنا به وأعاد علينا من بركاته فى
الدنيا والآخرة ، وهو يحيى بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن الثعلبى بن يحيى البكاء ، ابن

أبى الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطلال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب ، كرم الله وجهه ، ورضى الله عنهم ورحمهم أجمعين .

قدم تنبكت والله أعلم فى أوائل دولة التوارق ، فتلقاه تنبكت كى محمد نض فأحبه وأكرمه غاية الإكرام فابتنى مسجده وجعله إماماً فيه ، فبلغ الغاية القصوى فى العلم والصلاح والولاية ، وانتشر ذكره فى الآفاق والأقطار ، وظهرت بركاته للخاصة والعامة ، فكان ذا كرامات ومكاشفات .

قال أبو البركات الفقيه ، القاضى محمود ما طرا قدم تنبكت قط إلا وسيدى يحى أفضل من صاحبه . وقال ابنه الولى ، الزاهد ، الفقيه ، الواعظ أبو زيد عبد الرحمن بن الفقيه محمود ، فواجبٌ على أهل تنبكت أن يزوروا روضة سيدى يحى للتبرك فى كل يوم ، ولو كانت منهم على مسافة ثلاثة أيام .

وفى بداية أمره رحمه الله تعالى ، تخلى عن المعاملات ثم اشتغل بها فى آخر الحال ، وأخبر أنه قبل الاشتغال بها كان يرى النبى ﷺ كل ليلة ، ثم صار لا يراه إلا مرة واحدة فى الأسبوع ، ثم بعد شهر مرة ، ثم بعد سنة مرة . وسئل : ما السبب فى ذلك ؟ قال : لا أحسبه إلا من تلك المعاملات ، فقيل له : فهلاً تركتها . قال : لا ، ما أحب أن أحتاج إلى الناس .

فانظر رحمنا الله وإياك إلى مصيبة المعاملة ، مع أن هذا الشيخ المبارك يحافظ فيها من المحظورات ، غاية ونهاية ، وانظر إلى ثقل الاحتياج إلى الناس . كيف ترك هذا السيد المبارك المزية العلية العظيمة لأجله ، نسأل الله العفو والمعافة فى الدارين بمنه .

وروى أنه كان فى مدرسته ذات يوم تحت الصومعة من خارج يقرأ وحوله عصابة من الطلبة ، فإذا السحاب ارتفع ، وحصل على إنزال المطر حتى استعد الطلبة للقيام ، ثم ترعد فقال لهم : على رسلكم فاسكنوا ولا ينزل هنا ، والملك يأمره بالنزول فى أرض كذا . فجاز على حاله .

وحدثنا شيخنا الزاهد ، الفقيه ، الأمين بن أحمد رحمه الله تعالى ، أن جوارى الشيخ سيدى يحى طبخنَ حوتاً طرياً . من صُبح إلى عشى فلم تؤثر النار فيه شيئاً ،

فتعجبين بذلك حتى سمعه ، فقال هنّ : إن رجلى مسّ شيئاً مبلولاً في السقيفة حين خرجتُ لصلاة الصبح اليوم ، لعل النار لا تحرق ما مسّه جسدى .

وروى أن طلبه سنكرى إذا جاؤوه لأخذ العلم يقول : يا أهل سنكرى كفاكم سيدى عبد الرحمن التميمى ، وهو جاء من أرض الحجاز ، صحبه السلطان موسى ، صاحب مى حين رجع من الحج فسكن تنبكت ، وأدركه حافلاً بالفقهاء والسودانيين ، ولما رأى أنهم فاقوا عليه في الفقه ، رحل إلى فاس وتفقّه هناك ، ثم رجع إليه فتوطن فيه ، وهو جد القاضى حبيب رحمهم الله تعالى . وفي السنة السادسة والستين بعد ثمانمائة توفى سيدى يحيى . وتوفى بعده عن قريب صاحبه الشيخ محمد نض ، كما مرّ رحمه الله تعالى .

(ترجمة الشيخ مسر)

ومنهم الشيخ مسر بوب الزغراني ، صاحب الفقيه محمود بن عمر ، كان عالماً ، فاضلاً ، خيراً ، صالحاً ، عابداً ، نادرَ المثال في قبيلته ، لأنها لا تعرف بالصلاح ، ولا بحُسن الإسلام ، لازمه الواعظ ، الزاهد ، الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه محمود في بداية أمره ، فاهتدى بهديه ، واستمع من مواعظه . وقيل : إنه كان في مدرسته ذات يوم فأذنه الناسُ بجنائز ، فقال : من هو ؟ قيل : زغراني ، قال : نُصلى عليه لأجل الشيخ مسر بوب فخرج وصلى عليه .

(ترجمة الشيخ عريان الراس)

ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى ، الولي المكاشف صاحب الكرامات ، الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن على بن موسى عريان الراس ، كان من عباد الله الصالحين زاهداً سخياً ، خرج من ماله كله صدقة لله ، ويأتيه النذور والفتوحات فلا يمسك منه شيئاً ، بل يتصدق بها للفقراء والمساكين ، واشترى كثيراً من المماليك ، وأعتقهم لوجه الله تعالى والدار الآخرة .

وليس له بواب ، كل من جاء يدخل بلا استئذان ، يزوره الناس من كل فج في كل ساعة وأكثرها بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ، وأكثر الناس زيارة له أهل المخزن الباشات فمنّ دونهم والعربان المسافرون لما رأوا من بركاته كثير ، وهو بين انبساط وانقباض .

إذا انبسط يتحدث لمن غشاه بعجائب وغرائب ، ويضحك ويفرط فيه ، وربما يضرب بيده المباركة في يد من قابله في المجلس ، في حالة الضحك ويضع يده اليسرى على فيه ، وقد ضرب في يدي كثيراً ، ومتى انقبض لا يتحدث بشيء سوى الجواب لمن تكلم له وأكثر ما أسمعه في تلك الحال . ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، أو يقول حسبى الله وكفى سمعُ الله لمن دعا ، ليس وراء الله مُنتهى .

ومن طلب منه الفاتحة عند انقلابه يمدّ يديه المباركتين يقول بعد التعوذ والبسملة (يس) - الخ يا أرحم الراحمين ، ثم يقرأ الفاتحة ثلاث مرات ويدعو ويقول : أصلحنا الله وإياكم ، وأصلح أمورنا وأموركم ، وأصلح عاقبتنا وعاقبتكم في عافية ثلاث مرات ، إلا في آخر عمره لما دنا الرحيل ، اتخذ بواباً ، ولا يأذن في الدخول عليه مثل الحالة الأولى ، بل يرد الناس في بعض الأحيان .

واقصر حينئذ في قراءة الفاتحة على مرة واحدة ثم تركها ، فقال لي يوماً واحداً حين جلستُ بين يديه ، كل من جاء هنا قلت لهم : لا أقدر على قراءة تلك الفاتحة فدعا لي بالدعوة المعهودة مرة واحدة ، وعليها اختتم رحمه الله تعالى ورضي عنه وأعلى درجته في أعلى عليين .

وفي بداية أمره تجلّى له أبو المكارم وليّ الله تعالى ، القطب ، الجامع سيدي محمد البكرى وهو حديث السنّ يومئذ ، وقد خرج من عند حبيبه في الله تعالى ، الفقيه أحمد ابن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت ، على العادة المعروفة بينهما في الزيارة ، فأدركه قاعداً عند باب مسجد سنكرى وقت الزوال والمسجد ما زال مفتوحاً ، وبيده كتاب (الرسالة) لابن زيدون القيروانى يقرؤه على شيخه الفقيه عبد الرحمن بن الفقيه محمود .

فوقف عليه الشيخ المبارك وسأله : ايش هذا الكتاب الذى بيدك ؟ فقال : الرسالة ، فمدّ يده المباركة وقال : أرنيه فجعله في يده ، فطالع فيه قليلاً ، ثم رده له ، وقال : بارك الله لك فيه فجاز وهو لا يدرى من هو ، ولا رأى مثل لونه ، فلما جاء شيخه المسجد ، قصّ عليه القصة فظنّ أنه الشيخ المذكور ، فلما خرج من المسجد طرق أخاه الفقيه أحمد المذكور ، فقال له : وهل جاء عندكم اليوم السيد محمد البكرى ؟ قال : نعم .

وقد تأخر عندي اليوم أكثر من عادته المعتادة ، فأخبره بما جرى بينه وبين محمد ولد اد على موسى ، هكذا يقول له أهل سنكري ، ثم بعد ذلك تشوّش عقله ، حتى ظنّ الناس أن به جنوناً ولا يبيتُ إلا في المساجد ، ستكون عاقبته له خيراً .

وقد أخبرني الثقة من طلبته أنه سأله : هل كان أحد رأى الله سبحانه في الدنيا ؟ قال : نعم ومعك في هذا البلد من رأى الله تعالى ، جلّ وعزّ . قال : أخبرت شيخنا العلامة الفقيه محمد بابا بن الفقيه الأمين ومن غير إذا ذكر له في القابل ، فقال لي : الذي أخبرك به هو الذي رآه تبارك وتعالى .

وكنا عنده ثلاثة نفر أنا ورجلان يوماً بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ، وهو في حالة الانبساط يُحدّثنا ، فإذا السحاب قد ثار فتغيّر وجهه وتشوّش ، وقطع حديثه وجعل ينزعج في مجلسه ، فأول ما نزل من أقطار المطر أغلظ لنا في الكلام وشدد . وقال : لا أجلس مع الإنسان إذ ينزل المطر . فخرجنا جميعاً ، فحدّث شيخنا الفقيه الأمين به فتعجب .

ورويانا عن بعض الإخوان أنه قال : كان لي جارٌ نتجالس في طرفي النهار ، ونتوانس فتفقدته وداره قريب لداري ، فمشيتُ إليه لأرى كيف هو حاله ، فلما سلّمت عند باب داره شاور عنى البواب ، فجاء وقال : سيدي يقول لا تراه في هذه الساعة . فقال : كدتُ أتميّز من الغيظ من تلك المقالة . فضربتُ صدري بيدي ، وقلت : مثلي يجيء إلى فلان لداره ويردني بلا رؤيته عزمت على أن لا أكلّمه أبداً .

ثم بعد ذلك زرتُ الشيخ المبارك . سيدي محمد عريان الراس ، فلما حصلت بين يديه بدأني في الكلام بعد السلام ، فقال : كان وليٌّ من أولياء الله تعالى تفقد حالاً من أحواله ، فحزن لذلك حزناً شديداً حتى تمنى لقاء الخضر عليه السلام ، ليكون له وسيلة عند الله تعالى في ردّ تلك الحال ، ثم إن الله تعالى ردها له بفضله وكرمه بلا وسيلة أحد .

فبعد ذلك جاء الخضر فسَلّم عليه في باب داره ، وقال : من أنت ؟ فقال : المطلوب . قال : قد أغنانا الله عنك ، فرجع الخضر ولم يضرب صدره بيده يقول : مثلي يرد . يا فلان الإنسان معذور وربما يكون في حال لا يقبل أن يراه أحد فيها .

قال: فهتُّ ما إليه الإشارة فُتِّبْتُ في نفسي ، استغفرت ومشيت إلى ذلك الأخ ، فسَلَّمْتُ وأمر بفتح الباب بسرعة فدخلت ، وقال لي : سامحنى في ذلك المجيء الذى ما رأيتنى فيه وأنا ممدود وأنا ساعتئذ على الأرض ، وبطنى سيل لا أقبل أن يرانى أحد في تلك الحال ، وقلت : سامح الله لنا ولكذلك جميعاً .

وروى عن بعض جيرانه أنه قال : أتيت القاضى محمود بن أحمد بن عبد الرحمن يوماً . فقال لي : وجارك هنالك ؟ قلت : نعم ، قال : الولي الذى لا يأتى الجمعة فسكت ، ثم بعد ذلك أتيت جيرانى السيد محمد عريان الراس . فقال لي : يا فلان تعفو أولاً ، قلت : العفو هو أفضل . قال : إن لم تعفُ يَكُنْ ما لا ينبغي . قُلْ للذى يزعم بعدم إتيان الجمعة من أدراه قبل أن يأتى الجمعة ، هو سبقه إليها الذى زعم أنه لا يأتيتها . والحكاية عنه في هذا الباب كثير جداً رحمه الله تعالى ورضى عنه ، ونفعنا به في الدارين ، آمين .

(ترجمة الشيخ الأمين بن أحمد)

ومنهم الفقيه ، العالم ، الزاهد ، الصالح ، التقى ، الورع شيخنا الأمين ابن أحمد أخ الفقيه عبد الرحمن بن أحمد المجتهد لأمه ، كان لسانه رطباً بذكر الله تعالى ، ولا يسميه السيد محمد عريان الراس إلا بالأمين الذاكر .

وحَدَّثنى بعضُ الإخوان من أهل سنكرى عن والده ، وهو شيخ معمر أنه قال : أدركت سنكرى والأسلاف الصالحون متوافرون فيها فلم أرَ مثل حال الفقيه الأمين فيهم ، في حُسْن الإسلام . وحَدَّثنا رحمه الله تعالى في مدرسته أن الفقيه عمر بن محمد ابن عمر ، أخ الفقيه أحمد مغيا ، كان يقرأ في كتاب الشفاء للقاضى عياض على العلامة الحافظ ، الفقيه أحمد بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد بن أقيت يحضر هو وولده الفقيه أحمد بابا ، والفقيه القاضى سيدى أحمد .

ولا يقبل الأستاذ السؤال إلا للعارف وحده وللسيد أحمد في بعض الساعات ، وأما ولده أحمد بابا إذا سأل فيقول له : اسكت إلى يوم واحد سأل الأستاذ القارى عمر عن قبح : هل هو لازم أم مُتعد ؟ فسكت ، ثم سأل سيدى أحمد فسكت قال : فتلوتُ

هذه الآية (هُمْ مِنْ الْمَقْبُوحِينَ) [القصص] فرفع بصره إلى وتبسم ، وكنا
جماعة نعرض على شيخنا الفقيه الأمين كتاب دلائل الخيرات .

والشيخ يختلف في إثبات لفظة سيدنا وإسقاطها ، فسألناه عنه ، فقال : كُنا
نعرضه على الشيخ العلامة الفقيه محمد باقر فسالناه عنه كذلك ، فقال : ليس في
ذلك الاختلاف بأس لا يضر بشيء . وسألنا أيضاً عن قول المؤلف : وأن تغفر
لعبدك فلان بن فلان ، فقال : كُنا نعرضه لعبدك عبد الرحمن ، ولم يذكر والده .

وأما تاريخ وفاته فسيأتي إن شاء الله العام الحادى والأربعون بعد ألف . وتاريخ
وفاة السيد العريان يأتي إن شاء الله تعالى في العام الواحد والعشرين بعد ألف .

